المبحث الرابع عشر

النجاة من موبقات الآثام

اللهم أنت ولينا، فاغفر لنا وارحمنا، وأنت خير الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنةً، اللهم إنا هدنا إليك، واجعل لياليا ليل الذاكرين، واجعلنا يا ربنا في خير حال، يا من يُقَلِّبُ القلوب، يا من هو عليم بذات الصدور، يا من نعماؤه لا تحصى، يا من قدرته لا تحاط بها ولا تحيط بها الأفهام، ولا يدركها عقل ولا بصر ولا بصيرة، فإن الله تعالى تباركت أسماؤه، ليس كمثله شيء، يا من تعالى عن الشبيه والمساعد والنظير لا إله إلا أنت، وسعت كل شيء رحمة، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢]، هو البصير في كل حال، وهو المحمود.

اللهم نورنا بنور الإيمان، وزينا بزينة الإيمان، واختم لنا بخاتمة الإيمان، والصلاة والسلام على خير المؤمنين سيدنا محمد البشير النذير، الصادق الوعد الأمين، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وصاحب الشفاعة العظمى .

اللهم صَلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، عدد ما أحاط به علمه، وجرى به قلمه، وشهدت به ملائكته وأحصاه كتابه .

قد تناولنا قضية مهمة في النقاء، وهى نقاء المرأة المسلمة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣].

أي: والْزَمْنَ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة، ولا تُظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر، وأدِّين يا نساء النبي الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزكيكنَّ، ويبعد عنكنَّ الأذى والسوء والشر، يا أهل بيت النبي ومنهن زوجاته، وذريته عليه الصلاة والسلام، ويطهِّر نفوسكم غاية الطهارة.

تحدثنا من قبل عن: كيف يأتي الطهر والنقاء إلى المرأة المسلمة المحتشمة المحتجبة التي تخشى ربها في جميع الأحوال، والتى أراد الله تعالى لها العفة؟ واستكمالًا لهذا الموضوع انتقلنا من طهارة الظاهر إلى طهارة الباطن، وطهارة الباطن أن المسلم لا يحمل فى قلبه غلاًّ ولا حقدًا ولا حسدًا لأحد، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

أي: قل أيها النبي للمؤمنين أن يَغُضُّوا مِن أبصارهم عمَّا لا يحلُّ لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم عمَّا حَرَّم الله تعالى، وكشف العورات، ونحو ذلك، ذلك أطهر لهم، إن الله خبير بما يصنعون فيما يأمرهم به وينهاهم عنه.

هذه الآية في سورة النور، وقد حدثتك من قبل عن سورة الأحزاب، وهي سورة الطهارة والثبات، والقوة والإيمان، والجَلد الذى كان عليه الصحابة والصحابيات حول سيدنا رسول الله ﷺ ، ومن أراد أن يتعلم الثبات في القرآن الكريم، ويتعلم معه التأدب مع الله، والتأدب مع رسول الله ﷺ وآداب المرأة المسلمة فإنه يقرأ ويحفظ سورة الأحزاب، والسيدة عائشة – رضى الله عنها – كانت ترى أن سورة النور، هى سورة كل امرأة

مسلمة، أي: كل امرأة مسلمة ينبغي أن تحفظ سورة النور، لماذا ؟ لأنك سوف تعرف أن سورة النور حماية ووقاية لشرف المرأة المسلمة كذلك لشرف الرجل المسلم، فمن أين تأتى المعصية؟ من أين يأتى عدم النقاء؟ من أين يأتى التلوث بالمعاصي والتلوث بالخطايا؟

ما هو أول سبيل تأتى منه المعصية إلى الإنسان؟ ولنا مثال في العادة السرية التي يعاني من فعلها كثير من الشباب، وأنهم كلما أرادوا أن يتوبوا فإنهم يعودون إليها مرة ثانية، وإن الشاب كلما أراد أن يقلع عن هذه العادة فإن إخوانه الأشقياء يأخذونه إلى الإنترنت وإلى القنوات الإباحية وينظر وينظر ويتفاعل وينظر حتى يستشعر بقيام الشهوة في داخله، وقوتها في داخله، فكيف يخرجها، فيقع فى المعصية، لماذا؟ لأنه نظر وأمعن وزاد نظرًا وتمعنًا فيها بشغف ورغبة في المعصية .

وفي الحقيقة إن إعلامنا يسهم بصورة كبيرة في وقوع الشابات والشباب في المعاصي، إنك تعجب أن بعض المجلات تأتى بصور غريبة وعجيبة، وأن بعض الصحف القومية تأتي فيها صور مخلة فضلاً عن الأغاني، والأفلام، والمسلسلات، وكذا وكذا....؛ التى يجلس أمامها الشاب، فيجد نفسه في النهاية يقع فى المعصية، لماذا تقع فى المعصية؟ لأنك لم تغض بصرك.

وأيضًا الرجل الكبير فى السن عنده سبعون سنة أوخمس وسبعون سنة ومدمن للمشاهدة لهذه الأشياء، وتآلف معها، وصارت حياته كلها على هذه الحالة، لا يعرف شيئًا لا قناة الناس، ولا قناة البركة، ولا قناة كذا، محجوب، محروم ما الذي أراده وهو فى هذه السن؟ النظر. النظر. النظر، ومن هنا، فإنك لا تعجب عندما قال لك الملك ﷻ في قوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور: ٣٠].

عند مجالس النور والإيمان فإن الملائكة حولنا تزداد نورًا، وتذكر فى الملأ الأعلى، وحالة غسيل لنا لا خلاف على هذا، أي أقل شيء إنك تشاهد هذه القنوات، فإنك لا تقع في المعصية، حتى إذا لم تنتفع من كلامنا بشيء إلا بشرف الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وكذلك غيرنا من اللاهين يجلسون فى الساعة نفسها فى معصية، فانظر كم كسبتم من المعاصى؟ كم جمعت أنت من حسنات؟ وكم هو جمع سيئات كل يوم يجمع سيئات؟ فكيف يلقى الله تعالى؟

رحلة الطهارة، هى الأساس وجميع كتب الفقه الإسلامي تبدأ بالطهارة، وتحثنا من قبل عن التوحيد والقبلة، وأن الله تعالى أراد أن يُطهِّر البيت بالتوحيد، وأن يجمل الكعبة بالتوحيد، وأن ينور الكعبة بالتوحيد، وأن يجعل التوحيد أساسها، لقد قال الله لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام كما ذكر الملك في سورة الحج كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

أي: واذكر أيها النبي إذ بَيَّنا لإبراهيم عليه السلام مكان البيت، وهيَّأناه له، وقد كان غير معروف، وأمرناه ببنائه على تقوى من الله وتوحيده، وتطهيره من الكفر والبدع والنجاسات؛ ليكون رحابًا للطائفين به، والقائمين المصلين عنده.

(هذا هو التوحيد) كي يستمر التوحيد الخالص، التوحيد النقي مطلوب، وطهر بيتي هذا هو النقاء، الذي يريد أن يحج لابد أن يكون قلبه طاهرًا، ولا يكون سارقًا أموال الغير، أو عليه مشاكل ميراث، أو أكل أموال اليتامى .

ليس هنا طهارة، من أين تأتي الطهارة والنقاء؟ والملك عندما أقام البيت، وعندما أنشأ البيت، وعندما اختار الملك مكان البيت فإنه اشترط فيه الطهارة، الطهارة ليست في البيت فقط؛ لأن البيت معروف بالطهارة، وإنما الطهارة في من يأتي البيت؟ كيف تأتي بيت الرحمن، وعندك شحناء ومشاكل، وخصومات، وصراعات شديدة وبين الناس جميعًا ؟

انظر، ماذا قال الملك وهو يربط بين الإيمان وبين التوحيد، وبين النقاء، وبين طهارة القلب، وطهارة النفس، وطهارة الروح؟ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

وطهر بيتي لمن؟ للطائفين كيف تطوف البيت، وقلبك مشحون بالغيظ والغل والحقد، لإخوانك؟ كيف تقف عند البيت، والبيت أمام ناظريك، وأنت متعلق بالبيت لكن قلبك لا زال فيه خراب، لا زالت لك أرحام مقطوعة، لا زال عليك مواريث منهوبة، ولا زالت فيك ألفاظ بذيئة؟ كيف جئت البيت، وأنت على هذه الحالة؟ ما طهرت قلبك، ما طهرت مالك، ما طهرت بيتك، ما طهرت أولادك، وكيف ركعت أمام البيت، وعند مقام إبراهيم عليه السلام وقلبك مشغول بغير الله متعلق بغير الله؟ وكيف تسجد أمام البيت، وجبهتك منصوبة إلى غير الله؟ كأن أساس الرحلة إلى البيت العتيق الطهارة، كأن الطواف أساسه الطهارة، كأن القيام أساسه الطهارة، كأن الركوع أساسه الطهارة، أي: النقاء نقاء القلب، كأن السجود أيضًا أساسه نقاء القلب.

تلاحظ هنا عناية الله، والذي أمر هو الله، وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل... إن كل هذه أوامر ربانية، فإبراهيم يرفع البيت بإذن الله، الله تعالى يختار المكان بإذنه بمشيئته، سيدنا إسماعيل عليه السلام يساعد أباه بمشيئته تعالى، ليس لك من الأمر شيء إن ارتفعت وانخفضت، فإن

الرافع هو الله إذا أمد لك في الرزق أو قبض عنك الرزق أو ضيق عليك فى الرزق هذا لمشيئته ﷻ.

سننتقل بك من بيت الله الحرام إلى كل مسجد تقام فيه الصلاة، وإلى كل أرض طيبة، جعلت الأرض مسجدًا وطهورًا أي نقية، الأرض أساسها نقية وطهور؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل**»[1] أي كل من في الأرض طاهر ما لطخته نجاسة، فالأصل في الأرض الطهارة، صلِّ على النجيلة، صلِّ في الأرض، في أى مكان تريد أن تصليَّ فلتصلِّ فهي طاهرة فى الأساس حتى لو لم يكن معك سجادة ولا حصيرة ولا شيء، صلِّ على الأرض، فإن صلاتك صحيحة، فما هذه الرحمة لأمة الحبيب ﷺ!

إن الله تعالى طهرك، إن الله تعالى طهر لك الأرض، فكما مر علينا من قول حبيبنا ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[2].

وهذا مما خص به النبي ﷺ أن الله تعالى أكرمنا بسيدنا محمد ﷺ: ورفعنا بسيدنا محمد ﷺ، ويسَّر علينا بسيدنا محمد ﷺ، فقال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف:١٥٧].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: التيمم، باب: قوله تعالى: «فلم تجدوا ماءً فتيمموا»، رقم الحديث: ٣٢٣.

(٢) سنن الترمذي، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، رقم الحديث: ٢٩١.

أي: هذه الرحمة سأكتبها للذين يخافون الله، ويجتنبون معاصيه، ويتبعون الرسول النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو محمد ﷺ الذي يجدون صفته، وأمره مكتوبَيْن عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالتوحيد والطاعة، وكل ما عرف حُسْنه، وينهاهم عن الشرك والمعصية، وكل ما عرف قُبْحه، ويُحِلُّ لهم الطيبات من المطاعم، والمشارب، والمناكح، ويُحرِّم عليهم الخبائث كلها: كلحم الخنزير، وما كانوا يستحلُّونه من المطاعم، والمشارب التي حرَّمها الله، ويذهب عنهم ما كُلِّفوه من الأمور الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتمًا من القاتل عمدًا كان القتل أم خطأ .

فالذين صدَّقوا بالنبي الأمي محمد ﷺ وأقروا بنبوته، ووقروه وعظَّموه ونصروه، واتبعوا القرآن المنزل عليه، وعملوا بسنته، أولئك هم الفائزون بما وعد الله به عباده المؤمنين.

هذا هو التخفيف الذي جاء لهذه الأرض كلها ببركة سيدنا محمد ﷺ، ويضع عنهم إصرهم، أي: كل التعقيدات، وكل الأمور الصعبة التي كانت في التوراة، وعند بني إسرائيل، فإن الله تعالى خففها علينا بسيدنا محمد ﷺ وهذه قضية كبيرة، وهي قضية وضع الإصر، ومن هنا جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، هذا من باب رفع الإصر، ورفع التكليفات الصعبة التي كانت من بعد إسرائيل مما خففت به الشريعة الإسلامية، إنك تصليَ في أي مكان فكل مكان طاهر، مادام هذا المكان ليس فيه نجاسة، فهو طاهر لا تجد هذا إلا في شريعة الإسلام .

الأساس في البيت أنه طاهر، والأساس في أي مكان أنك تصلى فيه، أنه طاهر لكن طهارة الظاهر هذه، أن المكان طاهر، ومطلوب منك أيضًا طهارة الباطن كما أن الله تعالى جعل الأرض طاهرة، وجعل ما يدب عليها طاهر من الخلق المؤمنين الموحدين، فإن الأصل في التوحيد أنه طهارة،

والأصل في الشرك النجاسة، إنما المشركون نجس، من ليس موحدًا نجس، من لا يعرف الله تعالى فهو نجس .

وهذا معنى جديد للنقاء، وهو نقاء الأماكن، المواضع نفسها التي في البدن وكل مكان له طهارة خاصة، كيف أكون راكعًا ونقيًّا، في حالة الركوع لا أنشغل إلا لمن أركع له؛ لأن هذا نقاء، لا أنشغل بالناس وأنا راكع هذا نقاء، لا تنشغل بالفتن والصراعات التى ستأتي لك، أي حال الركوع لابد أن تكون طاهرًا مطهرًا، وحال القيام لابد أن تكون طاهرًا مطهرًا، وحال السجود لابد أن تكون طاهرًا مطهرًا، أي: إذن الصلاة عندئذ، والطواف الأصل فيه الطهارة، وطهر بَيْتِيَ للطائفين، والطهارة هو النقاء، والتزكية هي النقاء.

هل يجوز للمسلم الذي يحافظ على الصلاة ومستقيم، وملتزم، ويخاف الله ﷻ أن يخرج من صلاته ليشاهد أفلامًا ومسرحيات، ويقع فى العادة السرية ؟!

ما هى الطهارة؟ لابد أن تكون حالة دائمة وليست وقتية، أي أن تكون دائمًا طاهرًا، فحالتي أني متضرع، حالتي أني صوام، حالتي أني قوام، لكن تسير على خط دون خط عندئذ، فقد أغضبت الملك، أي: إيمانك لم يستقر.

هذا شاب يقول: إنه ملتزم مستقيم، قال فذهبت فى دورة تدريبية خمسة أيام في دولة عربية منفتحة على كل الجنسيات في العالم، فذهب هذا الشاب، وبقى في هذه الدورة فى الخمسة أيام، وجدت مظاهر معصية أمامي لم أرها فى بلدي، وجدت أن الفواحش سهلة جدًّا، ومن السهل الوقوع فيها؛ قال وفي اليومين الأخيرين أي: قبل أن أسافر بيوم في اليوم الرابع وقعت في المعصية وقع في الفاحشة، ومن قبل أن يفعل الفاحشة، وكان يعتقد قبل أن يفعل الفاحشة أنه متماسك وقادر على حماية نفسه، ولكن عندما شاهد أمامه صور الفساد في كل مكان بصورة سيئة منفتحة وقع فيها للأسف الشديد .

وبعد أن وقع فى المعصية قال: وجدت قلبي قد اسود، ووجهي اسود، وجلدي اسود، قال: كنت ذاهب لهذه الدولة بقلب منفتح، وصدر منشرح؛ فصرت الآن أكره أن أسمع اسمها؛ لارتباطها لديَّ بمعصية الجبار وقت هذه المعصية، ووجدت أن هؤلاء الناس الأمور الأخروية عندهم لا قيمة لها، وأن الدنيا هي همهم، وأن المعاصي هي شغلهم، وأن الفتن هي حالهم حقيقة ضيعت نفسي بمعصية وقتية، ضيعت نفسي بفاحشة فعلتها في لحظات، وبعد أن فعلتها اسود وجهي .

وهو الآن يقول: أريد أن يقام علي الحد حتى أتخلص من ذنبي، فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور:٣٠].

وهذه قصة الرجل الذي كان من الصالحين، ومعروف أنه من الصالحين فذهبت إليه امرأة غاوية؛ كي توقعه في الفاحشة، وأرسلها آخرون أي شياطين الإنس قالوا: اذهبي للشيخ فلان وراوديه عن نفسه، وكذا؛ ليقع فى المعصية وتكون فضيحة له وشؤمًا عليه، وندخل عليكما وأنتما واقعان في المعصية، فذهبت إليه واستعدت له، ولكنه يمتلك أسلحة إيمانية قوية، ولم يكن رصيده الإيماني ضعيفًا، مهزوزًا من الداخل متذبذبًا، فدخلت عليه فاستقبلها، وأحسن استقبالها، وقال لها: سأدخل كي أهيئ نفسي لك، فدخل إلى دورة المياه، ولطخ نفسه بما فيه، وخرج إليها على تلطخه فلما رأته فزعت وشمت رائحة كريهة، فلم تحتمل وأخذت تجري، تجري، وهو بقى بهذه الحالة معتصمًا بربه، فقد تذكر قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١].

أي: وكيف تكفرون بالله أيها المؤمنون، وآيات القرآن تتلى عليكم، وفيكم رسول الله محمد ﷺ يبلغها لكم؟ ومَن يتوكل على الله ويستمسك بالقرآن والسنة فقد وُفِّق لطريق واضح، ومنهاج مستقيم.

ودخل بعد هذا وغير ثيابه، وذهب إلى الصلاة، فقالوا عنه: هذا الرجل الصالح، كلما سار في طريق فاح منه المسك حتى مات. لماذا يفوح منه المسك؟ لأنه نجى من الفتن؛ لأنه نجى من المعصية، ونجى من المعصية بشيء ما فعله أحد من قبل، فأراد الله تعالى أن يطيبه؛ لأنه حمى نفسه؛ ولأنه نقى نفسه.

إن الملك ﷻ علمنا أن البصر، وأن العينين منهما يدخل الشيطان، وهما بريد الزنا، وهما بريد المعصية، وهما بريد الشهوة، وهما بريد الشهوات، وابن القيم رحمه الله تعالى ذكر أن من أحرز أربعًا أي من تمسك بأربع فقد ظفر بدينه.

ما هي الأربع؟ يحافظ على النظرات؛ لأن النظرة من سهام إبليس، ويحافظ على اللفظات التي يلفظ بها اللسان، ويحافظ على الخطرات أي الخواطر التى تأتي على قلبه يحافظ على الخطوات أي خطوات قدميه، وخطوات رجليه فيحدد إلى أين يذهبان؟ إلى مسجد، إلى طاعة، إلى عمل شريف !

فهي أربعة فحافظ عليها لأنها سبيلك إلى الجنة، ففريق فى الجنة، وفريق فى السعير، وإذا حافظت على هذه الأربعة: النظرات، واللفظات، والخطرات، والخطوات ... من حافظ على هذه الأربعة فقد ظفرت بدينك، أي جُمِع الإيمان كله عندك، ومن لم يحافظ عليها فقد ضاع منه الإيمان، وهي من أعلى إلى أسفل النظرات، واللفظات، والخطرات، والخطوات، وتلاحظون أنه بدأ بالنظر بالعينين؛ لأن الملك ﷻ هو الذى علمنا هذا.

ولا يخفى عليك أنه من غض بصره، فقد حفظ فرجه لا خلاف على هذا؛ لأن النظر، هو الذى يحرك الشهوة كالذي يقرأ القرآن الكريم، وكتب الأحاديث، ومعه السواك، وجالس مع أناس طيبين، من أين تأتي له الشهوة؟ لكن الذي يجلس مع مجالس شياطين يقولون له: رأيت فلانة وهي ترتدي كذا، ورأيت مسرحية كذا يبدأ الشاب يتحرك، ويتحرك، ويتزلزل، فإن

الشهوة تنطلق عنده، وعندما تنطلق الشهوة فهي كالفرس الهائج إذا لم تأت لها عبادة تهبطها أي الشاب أو الشابة أو حتى الشيخ الكبير، أن الرجل الكبير فى السن عندما تفور عنده الشهوة، وليس عنده امرأة، ولا يستطيع أن يفرغها فى الحلال، حينئذ يتوضأ، ويغادر المكان الذى شعر فيه بالشهوة ويجاهد نفسه، ويتذكر العذاب والنار إذا قارف الحرام، واتبع هواه.

أو يذهب إلى المسجد أو يدخل المطبخ، ويضع يده على النار، ويرى كيف يعذب يوم القيامة إذا أغضب الملك؛ لأن الرحمن الرحيم قال: ﴿ **إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ** ﴾ [المؤمنون:٦].

أي: إلا على زوجاتهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء، فلا لوم عليهم، ولا حرج في جماعهن والاستمتاع بهن؛ لأن الله تعالى أحلَّهن .

إن آلاف الشباب بل ملايين الشباب فى العالم الإسلامي يعانون من هذه القضية عدم النقاء، إنه نقيٌ ويصلى أسبوعين، ثلاثة، أشهر، ويبدأ الشيطان يرجعه مرة ثانية يقع فى المعصية، ويقع فى النظر، ويقع فى كذا وكذا.

ويبدأ يندم، ويرجع ثانيًا ويصلى، ويتوب، ويستغفر ووجهه ينور، وأول ما وجهه ينوِّر الشيطان يستكثر عليه النور، يرجعه ثانيًا للمعصية، ويأتى له برفقه خبيثة ماذا أفعل عندما تشتد عليَّ المعاصى، والفتن؟ ماذا أفعل يا رب؟ ففروا إلى الله، كما قال تعالى: ﴿ **فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ** ﴾[الذاريات:٥٠].

أي: ففروا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، وبرسوله ﷺ، واتباع أمره، والعمل بطاعته، إني لكم نذير بيِّن الإنذار، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة، وهذا فرار إلى الله، كما مر بنا من حديث الرسول ﷺ عن حذيفة رضي الله عنه «**كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى**»[1].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل، رقم الحديث: ١١٢٤.

فر إلى الصلاة عندما تشعر أنك مغلوب على أمرك، والشهوة عندك زادت، وقل: يا رب خفت على نفسي أن أعصيك، أخاف أن أضيع نفسي، يا رب ثبتني، يا رب ثبت قلبي، يا رب خذ بيدي إليك، وبلسان حالك قل: كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام:١٥]

أي: قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين مع الله غيره: إني أخاف إن عصيت ربي، وأشركت معه غيره في عبادته، أن ينزل بي عذابٌ عظيمٌ يوم القيامة.

ما هى النتيجة؟ كيف أجابهم الله عندما كاد الشاب أن يفتن؟ وكاد أن يقع فى المعصية؟ وكاد أن يغوى، وكاد أن تزل قدماه؟ ولكنه استعصم على حالة سيدنا يوسف عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف:٣٢].

أي: عندما قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطَّعن أيديهن: فهذا الذي أصابكن في رؤياتكن إياه، ما أصابكن هو الفتى الذي لُمتُنَّني في الافتتان به، ولقد طلبته وحاولت إغراءه; ليستجيب لي فامتنع، وأبى، ولئن لم يفعل ما آمره به مستقبلاً لَيعاقَبَنَّ بدخول السجن، ولَيكونن من الأذلاء.

ما النتيجة إذن يا رب العالمين؟ فجاء في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

أي: فوقاهم الله من شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم حسنًا، ونورًا في وجوههم، وبهجة وفرحًا في قلوبهم؛ لأنه خاف على نفسه، وخاف ربه أن يراه على معصية؛ فوقاهم الله شر ذلك اليوم، ولقاهم نضرةً، وسرورا، ذلك جزاء من؟ من نجا من المعصية من نقّى نفسه من المعصية، من زكّى نفسه من المعصية، من أغمض عينيه عندما خشي على قلبه، وهذا المعنى فى

سورة النور كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

ومن الأساليب القرآنية أسلوب النداء، فعلى سبيل المثال كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

أي: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، اصبروا على طاعة ربكم، وعلى ما ينزل بكم من ضر وبلاء، وصابروا أعداءكم حتى لا يكونوا أشد صبرًا منكم، وأقيموا على جهاد عدوي وعدوكم، وخافوا الله في جميع أحوالكم؛ رجاء أن تفوزوا برضاه في الدنيا والآخرة.

هذا يسمى أسلوب النداء، وهو الأسلوب الذي يخاطب به الناس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ....﴾

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أي: يا بني آدم لا يخدعنَّكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زيَّنها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتنكشف لهما عوراتهما.

إن الشيطان يراكم هو، وذريته، وجنسه، وأنتم لا ترونهم فاحذروهم، إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بهديه .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]. أي: يا أيها النبي لِمَ تمنع نفسك عن الحلال الذي أحله الله لك، تبتغي إرضاء زوجاتك؟ والله غفور لك، رحيم بك.

يا أيها النبي لما تحرم ما أحله الله لك، هذه كلها أساليب نداء، الذى ينادي هو الملك، وهو أسلوب عجيب، أسلوب أمري، أسلوب فيه أمر: ﴿قُل

لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠].

ولماذا لم يقل الملك: يا أيها الذين آمنوا غضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، الأمر يختلف تمامًا، إنه عندما قال: " قل": فهذه منتهى الأمرية، منتهى التشبيه، منتهى التحذير، منتهى الطلب، منتهى الأمر من الرحمن، ويسمى في البلاغة أسلوب الأمر الشديد، وليس الحث أو الطلب، لا أسلوب أمر: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، قل فعل أمر لك، ولكل أمتك يا محمد، والذين يدركون هذا النداء، هم المؤمنون حقًّا قل للمؤمنين، ولم يقل للمسلمين؛ لأن الإيمان مرتبة أعلى من الإسلام الذى يزلزل ويرقق القلوب لله ﷻ، وفيه خضوع وتواضع لعظمته، هذا الذي تأتي عليه أحكام الله تعالى سهلة هينة يحبها، يتفاعل معها، قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم.

فكم نظرة أدخلت عليك من المعاصى؟ هذا سؤال يجب أن تفكر فيه!! فهناك نظرة تؤدى إلى معصية، وهناك نظره تؤدي إلى طاعة، فكن من أهل الطاعات وثبت قلبك عليها.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد الذي هو أبهى من القمر التام وأكرم من السحب المُرسلة، والبحر الخِضمّ.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم .

****